Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.22, Issue: 2015

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور–باكستان.
العدد الثاني والعشرون، 2015م.

الإيمان بالله وصفاته في شعر حسان بن ثابت

محمد أويس
رئيس القسم العربي
كلية ديال سنج الحكومية، لاهور

Abstract

Hassaan bin Thabit is one of the companions of Prophet Muhammad (PBUH). He is well known all over the world for praising Prophet Muhammad (PBUH) by his poetry. He was supported by the Holy Spirit as mentioned in the sayings of Prophet Muhammad (PBUH). He acquired his thoughts, method and technique from Holy Quran and the sayings of Prophet Muhammad (PBUH).

He was a famous poet and a tribal chief in pre-Islamic (Jahiliyah) period. But After conversion to Islam he became the defender of Islam and the prophet of Islam by his poetry and eloquence of speech.

This study investigates the Faith in God and His attributes in the poetry of Hassaan bin thabit. Hassaan bin thabit describes his strong faith on Allah and mentions the descriptions and Characteristics of Allah in his poetry. He also indicates the rights of Allah on the human beings. He highlights his power, glory, perfection, completeness and his help to the believers.

The study used resources and reviews from many references that took the subject from many angles.

حسان بن ثابت هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري من قبيلة الخزرج. هاجرت الخزرج من اليمن إلى الحجاز وأقامت في المدينة مع الأوس. ولد حسان بن ثابت في المدينة قبل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة أخرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفًا إلى اللهو والغزل. وهو من بني النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبيلة الخزرج. أبوه ثابت بن المنذر

الخزرجي كان من سادة قومه، ومن أشرفهم، وأما أمه فهي الفزيعة بنت خنيس بن لوزان بن عبدون وهي أيضا خزرجية.

كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينشد الشعر قبل الإسلام، وكان ممن يفدون على ملوك الغساسنة في الشام، وبعد إسلامه اعتبر شاعر النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

كانت يثرب، المدينة التي نشأ فيها حسان، إحدى مدن الحجاز المهمة إلى الشمال من مكة والطائف.

كانت المدينة في الجاهلية ميدانًا للنزاع بين الأوس والخزرج، تكثُر فيها الخصومات والحروب، وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس، وحسان بن ثابت شاعر الخزرج، الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، فصارت له في الجزيرة العربية شهرةٌ واسعة.[1]

بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب واتخاذها مقراً لبث دعوته، عرفت منذ ذلك الحين بمدينة الرسول، وتطلعت إليها أنظار العرب، وهفت إليها قلوب المسلمين. ولم يكن للمدينة أن تحتل المنزلة التي وصلت إليها بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها لولم تبادر قبيلتا الأوس والخزرج إلى اعتناق الدين الجديد، وإلى إيواء حامل الرسالة الذي حقق المؤاخاة بين المهاجرين وأهل المدينة، ولم يعد يفرق بين القبيلتين فيها تفريقاً قبلياً وإنما أسماهم جميعاً اسماً واحداً هو الأنصار فأصبحوا إخواناً.

في هذا الوقت كانت نيران الحروب بين القبيلتين قد خمدت في مدينة الرسول ولم يعد الشعراء يجدون موضوعاً آخر ينظمون فيه ويعبرون عن ذواتهم من خلاله كما كانوا يفعلون في الجاهلية، غير أن قريشاً سرعان ما خلقت لهم الموضوع الجديد وذلك عندما أخذ شعراؤها في هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الجديد والرد على أنصار الدين القديم، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر نضال يهجى فيه الأعداء

ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء، بل للدفاع عن سلطتين دينيتين وعن حكمين مختلفين. ومن ثم اصطبغ الشعر بصبغة السياسة فكان شعرا سياسيا حقيقيا.

وفي هذه الحقبة أصبح حسان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبح شعره سجلاً لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين وأصبحت لحسان منزلة خاصة في نفوس المسلمين لدفاعه عن الرسول الكريم وذبه عن الإسلام وأحيط شعره بهالة من الإعجاب والتقدير.

قال الأستاذ عبد أ. مهنا مبينا أسلوب حسان في هجاء قريش:

"ولم يكن أسلوب حسان في هجائه طعناً في أصل قريش ونسبهم، بم كان الشاعر يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القرشية، ويجعله فيها طائراً غريباً يلجأ إليها كعبد أو دعي أو متبنى، أو يجعله غصناً مريضاً منفسداً، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعناً شنيعاً. ثم يسدد سهامه إلى أخلاق الرجل وعرضه فيمزقها تمزيقاً، في إقذاع شديد، ويخرج ذلك الرجل موطناً للؤم والجهل والبخل والجبن والقذارة والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك".[2]

واقتصر مدح حسان لهذا العهد على النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وكبار الصحابة، الذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسناً. وهو مدح يختلف عن المدح التكسبي بصدوفه عن التقلب على معاني العطاء والجود وما إليه، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كفى به شرفاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ورسول الله يقول: ((إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)).[3]

روي أن الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه و سلم من مشركي قريش : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص

وضرار بن الخطاب. وقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : اهج القوم الذين يهجوننا فقال : إن أذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلت فقال رسول الله: ((إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك)). ثم قال : ((ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه و سلم بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم)) فقال حسان : أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟)) فقال: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال: ((ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك!)). فكان يمضي إلى أبي بكر رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم فكان يقول له : كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة. فجعل يهجوهم فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا : هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة.[4]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ((اهجهم يعني المشركين وروح القدس معك)) وإنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان: ((اللهم أيده بروح القدس لمناضلته عن المسلمين)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن قوله فيهم أشد من وقع النبل)).[5]

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو له بالتأييد من السماء فقال عليه الصلاة والسلام:((اللهم أيده بروح القدس)).[6]

وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس شعر حسان بن ثابت، ولا كعب بن مالك، ولا عبد الله بن رواحة شعراً، ولكنه حكمة)).[7]

ويروى أنه أنشد حسان النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها:

عفت ذات الأصابع بالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

حتى انتهت إلى قوله:

هجوتَ محمداً ، فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((جزاؤك على الله الجنة يا حسان)).
فلما انتهى إلى قوله:

فإن أبي ووالده وعِرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وقاك الله يا حسان النار)).
فلما قال:

أتهجوه ، ولست له بكفء فشرّكما لخيركما الفداء

فقال من حضر: هذا أنصف بيت قالته العرب"[8]

ومما لا شك فيه أن حسانَ بن ثابت كان يحظى بمنزلةٍ رفيعةٍ، يجلُّه الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء في الوقت نفسه، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر- رضي الله عنه- موقفًا خاصًّا من الشعر، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة الردَّة لم تدَع له وقتًا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم، في حين نجد أن عمر بن الخطاب يحب الشعر، خاصةً ما لم يكن فيه تكرار للفظ والمعنى، وقد روِي عن كلٍّ من الخليفتَين الراشدَين عددٌ من الأبيات.

يقول أبو عبيدة: فضل حسان على الشعراء ثلاث،كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.[9]

قال الأصمعي: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء، فقال أبو حاتم: تأتي له أشعار لينة، فقال الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه.[10]

قال الحطيئة أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا تسألون عن السواد المقبل[11]

وقال عبد الملك بن مروان إن أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا.[12]
وقال عمرو بن العلاء: حسان أشعر أهل الحضر.[13]
وقال أبو الفرج الأصفهاني: حسان فحل من فحول الشعراء.[14]

وقد سمع النابغة الذبياني شعر حسان فقال: إنك لشاعر، وكان الأعشى صديقه وشهد له بالشاعرية.[15]

يعد حسان بن ثابت رضي الله عنه في مقدمة الشخصيات التي استحوذت على تفكير العديد من الباحثين وخاصة ممن يقومون بدراسة النقد الأدبي.

حسان بن ثابت له مكانته في الجاهلية، وزادت هذه المكانة في الإسلام، كيف لا؟ وهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. والذي لاشك فيه أن دخول حسان بن ثابت الإسلام زاد في مفرداته اللغوية وفى معانيه، فإذا كانت اللغة تعطى المتكلم إمكانات لغوية، وقدرات تعبيرية خلابة تمكنه من الرقى في التعبير إلى أقصى درجات الذوق التعبيري ، و"المتكلم هو الذي يشكل اللغة بشكل أو بآخر، ويكتشفها أثناء نطقه واستماعه لها؛ لأنها تمثل نظاماً ما من قواعد التوليد" [16]

فما من شك في أن حسان اكتسب من القرآن الكريم ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الكلمات و المعاني، مما جعل الباحث لايتجه في دراسته إلى الجديد في المعاني والمفردات وأثرها في شعره ، فهي واضحة جلية .

تحالف كل من المشركين واليهود ضد الإسلام، والأسباب التي جعلت هذه الطوائف تناهض الإسلام لم تكن دينية، ولم يكن هؤلاء يولون اهتماما بدينهم قبل الإسلام، وإنما مراكزهم في المجتمع القبلي ومصالحهم الشخصية هي التي حركتهم لمحاربة الإسلام والمسلمين. لذا، لا يمكن اعتبار الشعر الذي قيل في مناهضة المسلمين شعرا دينيا، فهو لا يخرج عن كونه شعر نقائض أو هجاء سياسيا.

وللرد على هؤلاء المعارضين، انتدب الرسول الكريم ثلاثة من خيرة شعراء المسلمين للدفاع عن الرسالة المحمدية، وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فمنهم من حارب المشركين بالسيف والقلم معا، ومنهم من استشهد في المعركة. لكن شعر هؤلاء لم يتوقف عند الدفاع عن الرسول ورسالته، وإنما نظموا قصائد يمدحون فيها النبي صلى الله عليه وسلم ويشيدون بفضائل الإسلام. ومن هنا نستطيع القول أن الشعر الديني عند العرب بدأ مع المدائح النبوية.

وفي القرآن الكريم نجد كثيراً من الآيات في مديح الله جل جلاله والاعتراف بفضله على المخلوقات وقوته. لذلك سار الشعراء المسلمون في تقديس الله لما رأوه في سر خلقه في الطبيعة والكون. حسان بن ثابت أول الشعراء المسلمين الذين نظموا في مدح الإله.

الإيمان بالله وصفاته من أهم الموضوعات الشعرية عند حسان بن ثابت. فإن هذا الإيمان مما جعله عارفاً بحقائق الأشياء وقيمتها، وأملأ قلبه بالخير والهدى. يمدح حسان ربه ويعلن بقوته الباهرة وعظمته القاهرة.

امتاز حسان بن ثابت من بين الشعراء بمعرفته ربه، لأنه أخذ هذه المعرفة من البشر الذي كان أعرف الناس بالله وأكثرهم له خشية وهو النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. زين النبي عليه الصلاة والسلام قلوب أصحابه بحب الله ومعرفته وإجلال شانه فخروا له سجدا وفروا إليه لا عنه.

تترشح من شعره عقيدته السامية وإيمانه الباهر بتوحيد الله سبحانه وصفاته. يقول حامدا لله عز وجل:

وأنتَ إلهُ الحقّ ربي وخالقي، بذلكَ ما عمرتُ في الناسِ أشهدُ
تَعَالَيتَ رَبَّ النّاسِ عن قَولِ من دعا سِوَاكَ إلَهاً، أنتَ أعلى وأمجَدُ
لكَ الخلقُ والنعماءُ والأمرُ كلهُ، فإيّاكَ نَستَهدي، وإيّاكَ نَعبُدُ
لأنّ ثَوابَ الله كلَّ مُوَحِّدٍ جنانٌ من الفردوسِ، فيها يخلدُ[17]

نراه يجمع مدح الرسول وحمد الإله في بيت واحد، حيث يقول:

شهدتُ، بإذنِ اللهِ، أنّ محمداً رَسُولُ الذي فَوْقَ السماوات مِن عَلُ[18]

يناجي حسان ربه بأبياته الجميلة ويسأل منه جنة الفردوس، حيث يقول:

يَا رَبّ! فاجْمَعنا فمَاً ونَبِيَّنَا، في جَنّةٍ تَثْني عُيُونَ الحُسّدِ
في جَنّةِ الفِرْدَوْسِ واكتُبْها لَنَا يا ذا الجلالِ وذا العلا والسؤددِ[19]

يعلن حسان بن ثابت بعظمة ربه وكبرياء شانه في رثاء عثمان رضي الله عنه حيث يهدد قتلة عثمان بقرب مجيء جيش معاوية لينتقم منهم ويقول:

لتسمعنّ وشيكاً في ديارهمِ، اللَّهُ أكْبَرُ، يا ثَارَاتِ عُثْمانَا[20]

يقر بتوحيد الله وربوبيته وكذلك يجعل كتاب الله هادياً يهتدى به ويقول:

ونعلمُ أنّ اللهَ لا ربّ غيرهُ، وإنّ كِتَابَ اللَّهِ أصْبَحَ هادِيا[21]

يدعو إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام ويقول للكفار أن أسلموا لله مخلصين له الدين، وانزعوا عن عبادة الأصنام:

فَلا تَجْعَلوا لله نِدَّاً وأسْلِمُوا، وَلا تلبَسوا زِيَّاً كزِيّ الأعَاجِمِ[22]

يعتقد حسان بن ثابت بأن الله هو الفاعل الحقيقي وهو ينصر المؤمنين ويثيب خير ثواب:

وكفى الإلهُ المؤمنينَ قتالهمْ وَأثَابَهُمْ في الأجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ
مِنْ بَعدِ ما قَنَطوا، فَفَرّجَ عَنهُمُ تنزيلُ نصّ مليكنا الوهابِ
وَأقَرَّ عَيْنَ مُحَمّدٍ وَصِحابِهِ، وأذلَّ كلَّ مكذبٍ مرتابِ[23]

وكذلك يقول في أسلوب رقراق:

إنْ تَتْرُكوهُ، فإنّ رَبّي قادِرٌ، أمسى يعودُ بفضلهِ العوادِ
واللهِ ربي لا نفارقُ أمرهُ، ما كانَ عَيْشٌ يُرْتَجَى لمِعادِ
لا نبتغي رباً سواهُ ناصراً، حتى نُوَافِي ضَحْوَةَ الميعَادِ[24]

يخوف أعداء الدين بقدرة الله وعقابه بأبياته التالية:

إذا اللَّهُ حَيّا مَعْشَراً بِفَعالِهِمْ، وَنَصْرِهِمِ الرّحمنَ رَبَّ المشارِقِ
فأخزاكَ ربي، يا عتيبَ بن مالكٍ، ولقاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصواعقِ[25]

يؤمن حسان بن ثابت بأن الله هو المعز والمذل، يعز من يشاء ويذل من يشاء:

وإلا، فاصبروا لجلادِ يومٍ يعزُّ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ[26]

يؤمن حسان بأن الله يعذب أعداء الإسلام سوء العذاب ويخزيهم في الدنيا والآخرة:

عجلَ المليكُ لهُ، فأهلكَ جمعهُ بشنارِ مخزيةٍ، وسوءِ عذابِ[27]

يعتقد حسان بن ثابت بأن الله شرفهم بدينه ونبيه، فإنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ثم نصر نبيه وأصحابه نصرا عزيزا، فإنه ناصر حقيقي وممد للمؤمنين:

وأكْرَمَنا اللَّهُ الذي ليسَ غيرُهُ إلهٌ، بأيّامٍ مَضَتْ ما لها شَكْلُ
بِنَصْرِ الإلهِ للنَّبيّ ودينِهِ، وأكرَمَنا باسمٍ مَضَى ما لهُ مِثلُ[28]

ويقول نفس الأمر في بيت آخر:

وبنو أبيهِ ورهطهُ في معركٍ، نَصَرَ الإلهُ بهِ ذوي الإسْلامِ[29]

يعلم حسان بن ثابت بأن الله هو المرسل لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو أول من نحمده، حيث يقول حسان:

وأنذرنا ناراً، وبشرَ جنةً، وعلمنا الإسلامَ، فاللهَ نحمدُ[30]

يؤمن حسان بن ثابت بأن الله هو المجزي الحقيقي وعنده أجر الأعمال الحسنة والسيئة، فإنه يحسن بالمؤمنين ويخزي الفاسقين:

هجوتَ محمداً، فأجبتُ عنهُ، وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ[31]

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع منه ذلك قال: "جزاؤك على الله الجنة يا حسان!"[32]

ويقول:

وإنّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحدٍ، جنانٌ منَ الفردوسِ فيها يخلدُ[33]

يعلم حسان بن ثابت بأن الله هو العفو الغفور، رحيم بالعباد، يغفر خطاياهم ويمن عليهم:

عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُذْرَهمْ، وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجودُ[34]

الله هو المنجز وعده في عقيدة حسان بن ثابت الأنصاري، حيث يقول:

يناديهمْ رسولُ اللهِ، لما قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ
ألمْ تَجِدُو حديثي كانَ حَقًّا، وأمرُ اللهِ يأخذُ بالقلوبِ
فَما نَطَقُوا، ولَو نَطَقوا لَقالوا صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رَأيٍ مُصِيبِ[35]

يؤمن حسان بن ثابت بأن الله هو المقسط ولايستوي عنده الصدق والكذب:

يا أيّها النّاسُ أبْدُوا ذَاتَ أنفسِكُمْ، لا يَسْتَوِي الصّدقُ عندَ اللَّهِ والكذِبُ[36]

وقال رضي الله عنه:

وَإنْ قَالَ في يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ، فتصديقُها في اليَوْمِ أوْ في ضُحى الغدِ
ليهنِ أبا بكرٍ سعادةُ جدهِ بصُحبَتِهِ، مَنْ يَسعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ[37]

وقال:

هُمُ أوْلِيَاءُ اللَّهِ أنْزَلَ حُكمَهُ عليهم، وفيهمْ ذا الكِتَابُ المطهَّرُ[38]

وقال:

اللَّهُ أكْرَمَنا بنصرِ نبيّه، وبنا أقامَ دعائمَ الإسلامِ
وَبِنا أعَزَّ نَبيَّهُ وَكِتَابَهُ، وأعزَّنَا بالضّرْبِ والإقْدَامِ[39]

يؤمن حسان بقدرة الله عز وجل حيث يقول:

ذَلّتْ رِقَابُ بَني النَّجّارِ كلّهِمُ، وكان أمراً منَ أمرِ اللهِ قد قدرا[40]

قدرة الله غالبة على الكون كغلبة القمر على النجوم، يستفيد الشاعر من الكون لتقديم مثال على قدرة الله حيث يقول:

قد أبْرَزَ اللَّهُ قَوْلاً، فوْقَ قولِهِمِ، كما النجومُ تعالى فوقها القمرُ[41]

لا يمكن لأحد أن يرد قضاء الله فإنه واقع لا محالة ولو كره الإنس والجن وبه قال حسان بن ثابت في يوم بدر:

وذلكَ، يا خيرَ العبادِ، بلاؤنا وَمَشْهَدُنا في اللَّهِ، والموْتُ ناقِعُ

لَنَا القَدَمُ الأولى إليكَ، وَخَلْفُنا، لأوّلِنَا، في طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ
ونعلمُ أنّ الملكَ للهِ وحدهُ، وَإنّ قَضَاءَ اللَّهِ لا بُدّ وَاقِعُ[42]

الله ينفذ أمره ولا يستطيع أحد أن يمنعه أو يقابله، قال حسان بن ثابت يفتخر بيوم بدر ويعير الكفار:

طَحَنَتْهُمُ والله يَنْفُذُ أمرُهُ، حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بِضِرَامِ[43]

لا يمكن للخلق كله أن يكتم شيئا عن علم الله، فإنه يعلم ما خفي وما جهر، حتى أنه يعلم ما تخفيه الصدور:

اللَّهُ يَعْلَمُ ما أسْعى لجُلّهِمِ، وما يغيبُ بهِ صدري وأضلاعي
أسعى على جلّ قومٍ كان سعيهمُ وَسْطَ العَشِيرَةِ سَهْواً غيرَ دَعْدَاعِ
ولا أُصَالِحُ مَنْ عادَوا وأخْذُلُهُمْ، ولا أغيبُ لهمْ يوماً بأقذاعِ [44]

يريد بأن الله يعلم مقدار سعيي عليهم وتصرفي لهم وما تجنه أضلاعي لهم من الإشفاق والولاء، ولماذا لا أسعى عليهم وقد كانوا يسعون سعيا غير بطيء وإذن سأمضي في سعيي عليهم ولا أصالح من عادوه وأخذلهم بذلك وسأحفظهم في المغيب فلا يجري لساني لهم بقبيح.

الله هو البصير بعباده ويعلم ما يضمرون ولكن يمهلمهم ليوم الدين، وبه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وقُلتُمُ لنْ نُرَى، واللَّه مُبصِرُكُم، وفيكمُ محكمُ الآياتِ والقيلِ
محمدٌ، والعزيزُ اللهُ يخبرهُ بما تكنُّ سريراتُ الأقاويلِ[45]

وما يغفر الذنوب إلا الله عزوجل، ما منح الله قدرة المغفرة خلقه ولكن اختص نفسه به، كما قال حسان بن ثابت:

رأيتكِ، وليغفرِ لكِ اللهُ، حرةً مَنَ المحصنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ[46]

الله هو المعطي الحقيقي، يجزل نعمائه على الخلق عامة وعلى المسلمين الصادقين خاصة، وبه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فكمْ كربةٍ ذبّ الزبيرُ بسيفهِ عن المصْطفى، واللَّهُ يُعطي فيُجزلُ[47]

الله هو الهادي الذي يرشد الناس إلى الخير والحق بعد أن غمسوا في الضلالة والغواية. يعتقد حسان على ذلك وبه ويقول:

هداهمْ بهِ بعدَ الضلالةِ ربهم، وأرشدهمْ، من يتبعِ الحقَّ يرشدِ[48]

التوكل على الله و تفويض الأمر إليه سبحانه ، و تعلق القلوب به جل وعلا من أعظم الأسباب التي يتحقق بها المطلوب و يندفع بها المكروه، وتقضى الحاجات ، و كلما تمكنت معاني التوكل من القلوب تحقق المقصود أتم تحقيق ، و هذا هو حال جميع الأنبياء و المرسلين.

هو في اللغة الاعتماد على الغير في أمر ما، واصطلاحا: صدق اعتماد القلب على اللّه تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.[49] وقال الجرجاني رحمه الله: التوكل هو الثقة بما عند اللّه، واليأس عما في أيدي الناس.[50]

حسان بن ثابت يشير إلى توكل أصحاب الرسول على ربهم ويقول:

وَقَدْ وَرَدْنَا ولم نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حتّى شرِبْنَا رَوَاءً، غَيرَ تَصْرِيدِ

مُسْتَعصِمينَ بحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ، مستحمٍ منْ حبالِ اللهِ ممدودِ[51]

التقوى هي فضيلة وسلوك الإنسان والتزام اتجاه الله واتجاه مخلوقاته. ويترجم ذلك في أداء واجباته اتجاه ربه، ووالديه، ووطنه ومجتمعه. والتقوى هي أيضا ذلك الحب والاحترام الصادقين وهي دعائم الدين والإيمان التي تتجلى في سلوك الإنسان وتصرفاته. كما أن التقوى هي تلك التضحيات التي نقدمها للوالدين وللآخرين دون انتظار المقابل.

يتغير مفهوم التقوى من دين ومعتقد لآخر إلا أن مضمونها وأسسها واحد، يدعو في مجمله إلى السمو بالجانب الروحي والسلوكي للإنسان حتى يسمو بذلك إلى أعلى المراتب عند ربه وبين بني جلدته.

يذكر حسان بن ثابت رضي الله عنه تقوى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:

أعْني الرّسولَ، فإنّ الله فَضّلَهُ على البريةِ بالتقوى، وبالجودِ[52]

يمدح حسان أصحاب التقوى ويقول:

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ قدْ بينوا سنةً للناسِ تتبعُ
يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سرِيرَتُهُ تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا[53]

لم يختص حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح الإله أشياء كثيرة ولكن أشعاره المتفرقة –التي أنشدها ارتجالا– ضمن موضوعات شتى في مدح الإله عز وجل تنبئ عن حب حسان لإلهه وتعلقه معه لأن اللغة مرآة العقل ومستودع الآداب واللسان هو ترجمان القلب. يبشر حينا المؤمنين برحمته ويخوف آخر الكافرين ببطشه وعذابه. يؤمن بقدرته وكبريائه وينقاد لحكمه ورضاه، حتى يمكن للباحث أن يقول أنه كان مسلماً صادقاً مؤمناً بالله ومحباً له ومستحضراً قدرته وتدبيره كل حين من أحيانه. كان يتفكر في آياته ويخضع له في كل من حالاته.

* * * *

الهوامش

(1) راجع: الأستاذ عبد أ. مهنا: ديوان حسان بن ثابت، ص:7-10 بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة (2005م – 1425هـ) والبرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت، ص11-16 بيروت: دار الكتاب العربي. 1427هـ- 2006م.

(2) الأستاذ عبد أ. مهنا: ديوان حسان بن ثابت، ص:14

(3) أبو داؤد، السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، ما جاء في الشعر، رقم الحديث:4361، بيروت: دار الكتب العلمية.

(4) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1 ص254. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة 1999م.

(5) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1 ص101. بيروت: دار الفكر، سنة 1427هـ/ 2006م.

(6) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد، رقم الحديث:434

(7) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، بتحقيق سمير جابر. ج12 ص282 بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية. والدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج18 ص295، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، سنة 1413هـ/ 1993م.

(8) سيد حنفي حسنين، الدكتور: ديوان حسان بن ثابت، ص 76. القاهرة: دار المعارف. سنة1983م.

(9) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1 ص290. أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، بتحقيق سمير جابر، ج4 ص143. بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية.

(10) الدكتورجواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ج18 ص295. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (م:463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1 ص102. بيروت: دار الفكر، سنة 1427هـ/ 2006م.

(11) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (م:463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1 ص102.

(12) نفس المصدر.

(13) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت النصاري ، المقدمة، ص17.

(14) المصدر نفسه.

(15) المصدر نفسه.

(16) كريم زكي، حسام الدين الدكتور: أصول تراثية في علم اللغة، ص68، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. ط/1، 1985م.

(17) البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص98

(18) المصدر نفسه، ص232

(19) المصدر نفسه، ص96

(20) المصدر نفسه، ص288

(21) المصدر نفسه، ص298

(22) المصدر نفسه، ص273

(23) المصدر نفسه، ص44

(24) المصدر نفسه، ص87

(25) المصدر نفسه، ص215

(26) المصدر نفسه، ص39

(27) المصدر نفسه، ص65

(28) المصدر نفسه، ص238

(29) المصدر نفسه، ص260

(30) المصدر نفسه، ص85

(31) المصدر نفسه، ص41

(32) المصدر نفسه، ص41

(33) المصدر نفسه، ص128

(34) المصدر نفسه، ص93

(35) المصدر نفسه، ص47

(36) المصدر نفسه، ص50

(37) المصدر نفسه، ص91

(38) المصدر نفسه، ص146

(39) المصدر نفسه، ص276

(40) المصدر نفسه، ص135

(41) المصدر نفسه، ص175

(42) المصدر نفسه، ص192

(43) المصدر نفسه، ص260

(44) المصدر نفسه، ص193

(45) المصدر نفسه، ص232

(46) المصدر نفسه، ص236

(47) المصدر نفسه، ص245

(48) المصدر نفسه، ص90

(49) ابن رجب، الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد: جامع العلوم والحكم، ص409. بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى ، سنة 1408هـ.

(50) الجرجاني،محمد السيد الشريف: التعريفات، ص74

(51) البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص86

(52) المصدر نفسه، ص86

(53) المصدر نفسه، ص188

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة 1999م.
- ابن رجب، الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد: جامع العلوم والحكم، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى ، سنة 1408هـ.
- ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الفكر، سنة 1427هـ/ 2006م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (م:463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الفكر، سنة 1427هـ/ 2006م.
- أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، بتحقيق سمير جابر. بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية.
- أبو داؤد، السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأستاذ عبد أ. مهنا: ديوان حسان بن ثابت، بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة (2005م – 1425هـ)
- البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان حسان بن ثابت، بيروت: دار الكتاب العربي. 1427هـ-2006م.
- الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. جامعة بغداد، الطبعة الثانية، سنة 1413هـ/ 1993م.
- سيد حنفي حسنين، الدكتور: ديوان حسان بن ثابت، القاهرة: دار المعارف. سنة1983م.
- كريم زكي، حسام الدين الدكتور: أصول تراثية في علم اللغة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. ط/1، 1985م.

*_*_*